ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (٤٣٨) / عبد الحليم الغزّي
صولة القمر (ج٥٨)
حديث الحقيقة ومنطق الانصاف (ق٤)
الجمعة : ٢٨/شوال/١٤٤٤هـ - الموافق ١٩/٥/٢٠٢٣م

"حديثُ الحقيقة ومَنطقُ الإنصاف"، الجزءُ الرابع.
وصلَ بِنا الحديثُ إلى أنَّ السُّنِّيِّينَ عندَهُم ما عندَهُم في مَكتبَتِهم وفي صحاحِ كُتُبِهم وفي الكُتُبِ الَّتي يَعتمدونَ عليها عندَهُم الكثيرُ من الحقائق الَّتي يَقفزونَ عليها ولا يَقفونَ عندَها مُتأمِّلينَ لأنَّهم لا يُريدونَ أن يُرتِّبوا أثراً نَفسيّاً أو أثراً عَملِيّاً وفقاً لِمَا تَنطقُ به هذه الحقائق، يُريدونَ أن يُحافِظوا على صورِ عُجولِهم، صورِ أصنامِهم البَشريَّة وبأيِّ ثَمن، هذه الحالةُ موجودةٌ عِندَ السُّنَّة بِخصوص الصَّحابة، وموجودةٌ عِندَ الشيعةِ الطوسيِّينَ بِخصوصِ مراجعهم، المجموعتان تَشربان من نَفس العيون؛ "إنَّها العيونُ الكَدِرةُ القذرة".
في الآيةِ الأربعين من سورة التوبة إنَّها آيةُ الغار، هكذا تُعرَفُ في الثقافة السُّنِّيّة: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ** - المصطفى صَلَّى اللّهُ عليه وآله وابنُ أبي قُحافة، إنَّهُ أبو بكر - **إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ** - مُحَمَّدٌ يقولُ لصاحبه أبي بكر، في آيةِ المباهلة: ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾، كَم هي المسافةُ الفَارقةُ فيما بَينَ مَن هُوَ صَاحبُ النَّبي ومَن هُو نَفسُ النَّبي؟! لا نستطيعُ تَقديرها، هذا نَفْسُ النَّبي، وهذا صَاحبُ النَّبي في أحسن أحواله - **إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ** - في آية المباهلة قَدَّمهُ بَينَ يَديه ﴿أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، قَدَّمَهُم وَسيلةً بين يديه إلى اللّه في مُباهلته مع نَصارى نجران - **إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ** - على مُحمَّد صَلَّى اللّهُ عَليه وآله ولم يُنزِلها على أبي بكر - **وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا** - القائلونَ من أتباعِ سَقيفة بني ساعدة من أنَّ السَّكينَة نزلت عَلى أبي بكرٍ لأنَّ رَسُولَ اللّه لم يَكُن مُحتاجاً لها يكذبون، لأنَّ الآية واضحةٌ الَّذي نَزلَت عليه السَّكينةُ هُوَ هُوَ الَّذي أيِّدَ بِجُنود مثلما قالت الآية، الجنودُ هؤلاء لم يُؤيِّد بِهِم قَطعاً أبو بكر، الضمير مفردٌ يعودُ على رسول اللّه - **وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾، الآيةُ واضحةٌ جِدّاً في أنَّ الَّذي كانَ معَ رسول اللّه في الغار كانَ صَاحباً هذا أعلى حدٍّ لهُ، فَأينَ الصَّاحبُ مِنَ النَّفْس؟
علامةُ استفهامٍ كبيرةٌ وكبيرةٌ جِدّاً لماذا ليس لأبي بكرٍ من حُصّة في هذه السَّكينة؟!
في الآيةِ الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين من سورة التوبة: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** - فَرّ الصَّحابةُ ولم يَبقَ إلَّا عليٌّ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه وبعضُ بني هاشم وعددٌ قليلٌ جِدّاً من الصَّحابة، وكانَ عُمرُ بنُ الخطاب في أوَّل القوم فراراً والرواياتُ في صحاحهم - **ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ** - على مَن؟ - **عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ** - الَّذينَ ثَبتوا مع رسول اللّه - **وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا** - ألا تُلاحظونَ أنَّ التعبيرَ نَفسهُ في آية الغار؟! نَزلَت السَّكينةُ على رسول اللّه وكانَ للمؤمنينَ الَّذينَ معه حصَّةٌ لَهُم، سهمٌ في هذه السَّكينة، أبو بكرٍ لماذا لم يَكُن لهُ من سَهمٍ في السَّكينَة الَّتي نزلت في الغار؟! - **وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**﴾.
في آيَة الغار: ﴿**فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ** - على رسول اللّه - **وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**﴾، ليس هُناكَ من ذكرٍ لنزول السَّكينةِ على أبي بكرٍ مُطلقاً لا من قريبٍ ولا من بعيد!! بينما في السورة نفسها في واقعة حُنين نزلت السكينةُ على المؤمنينَ الَّذينَ ثَبتوا مع رسول اللّه.
الأمر يتكرر في سورة الفتح في الآية الرابعة بَعدَ البسملة: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ** - هُنا السَّكينةُ جاءت للمؤمنين - **لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** - الجنودُ ذُكروا أيضاً هُنا - **وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾، لماذا لَم يَكُن لأبي بكرٍ من سَهمٍ من حَظٍّ في السَّكينَة الَّتي نَزلت في الغار؟!
قد يقولُ قائلٌ: من أنَّ أبا بكرٍ داخلٌ في هذه الآية، هذا الأمرُ يحتاجُ إلى دليلٍ واضحٍ خُصوصاً وأنَّ أبا بكرٍ حينما كان وحدهُ في الغارِ ما نَزلَت عليه السَّكينَة، فعلى أيِّ أساسٍ نُدخلُ أبا بكرٍ هُنا؟! اللّهُ لم يُدخلهُ في فَيض السَّكينَة النَّازلة، وفي واقعةِ حُنين أبو بكرٍ كانَ مِنَ الفارِّين، السَّكينَةُ نزلت على الثابتين، الوقائعُ والأحداثُ المُثبتةُ في كُتب القوم في كُتُب السُّنِّيِّينَ هي الَّتي تُخبِرنا عن ذلك..

• الصورة السابعة.

في سورة المجادلة؛ الآيةُ الثانيةُ بعدَ العاشرة بعدَ البسملة والَّتي بعدها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾. هذا حُكمٌ صادرٌ مِنَ اللّه على المسلمين الَّذينَ يُريدونَ لقاءَ رسول اللّه أن يَدفَعوا صدقةً للفُقراء، للمحتاجين..
"نَاجَيتُم الرَسُول"؛ جِئتُم للقائه، لزيارته، إن لم يَكُن عندَكُم من ما ل لن تفوزوا بلقاء رَسول اللّه ولكنَّكُم لن تُؤثِموا، لأنَّكُم لا تمتلكونَ مَالاً، ستُحرَمونَ من لقائه وزيارته، ما الَّذي حَدَثَ على أرض الواقع؟ الَّذي حَدَثَ على أرض الواقع لم يَمتَثل لهَذا الحُكم إلَّا شَخصٌ واحد، هذا هو الشخصُ المميزُ الَّذي لم يَكُن غَيرهُ معَ رسول اللّه عندَ أوَّل ثانية من ثواني بعثة النَّبي، ذَلكَ الشخصُ الشاخِص، هُوَ هُوَ عليٌّ، عليٌّ العُلا والمعالي.
في كُتُب القوم، في أُمَّهاتِ أسفارِهم وتفاسيرهم؛
تفسير الطبري:
الجزء السابعُ والعشرون والثامنُ والعشرون من طبعة دا ر إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الجزء الثامنِ والعشرين، الصفحة الخامسة والعشرين، الآيةُ الَّتي تلوتُها عليكُم قبلَ قليل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾، أوردَ العَديدَ مِنَ النُّصوص لا مَجالَ لِقراءة كُلِّ النصوص..
نَقَلَ: **بِسنده** - بسند الطبري - **عَن مُجاهد، في قَوله تعالى: "فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً"، قالَ: نُهُوا عن مُناجاة النَّبي حتَّى يَتصدَّقوا، فَلَم يُناجِه إلَّا عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عَنه قَدَّم ديناراً فتصدَّقَ بِه، ثُمَّ أُنزلت الرُّخصَةُ في ذلك** - نُسِخَ الحُكم لأنَّ الصَّحابة لم يتقدَّم أحدٌ منهم، المتقدِّمُ هُوَ هُوَ ذَلكَ الشخص المفرد إنَّهُ أمير المؤمنين.

ونَقلَ عَن أمير المؤمنين صلواتُ اللّه عليه: **قَالَ عَليّ رضي اللّهُ عنه: إنَّ في كتابِ اللّه عَزَّ وجل لآيةً ما عَملَ بها أحدٌ قبلي ولا يَعمَلُ بها أحدٌ بعدي** - "ما عَملَ بِها أحدٌ قبلي"؛ الصَّحابَةُ ما عَملوا بها، "ولا يعملُ بِها أحدٌ بعدي"؛ لأنَّ الحُكْمَ قد نُسخ - **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً"، قَالَ: فُرِضت ثُمَّ نُسخت.**

القُرآنُ ماذا خَاطبَ الصّحابةَ؟!

﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ**﴾، وأنتُم الَّذينَ تُؤذُونَ رسولَ اللّه مثلما جاء في الآيةِ الثالثة والخمسين بعد البسملة من سورة الأحزاب: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ**﴾، الصّحابة چـانوا مَسوّينها خرِي مرّي، لَمَّا وصلَ الأمر إلى دَفعِ درهَمِ صَدقةَ ما تَقدَّمَ أحدٌ منهُم، هذا يَجعلُنا نُشَكِّكُ في كُلِّ هذا الَّذي قيلَ لنا عَن الصَّحابَة من أنَّهم أنفقوا أموالَهم، درهَمٌ واحد ما تجرّأوا على إنفاقه فَكيفَ يُجَهِّزونَ جيشاً كاملاً؟! هذا الدِّينُ نشأ بأموالِ خديجة، هذا الدِّينُ نَشأ بِكفَالةِ أبي طالب، هذا الدِّينُ نشأ بسيفِ ابنَ أبي طالب، هذا الدِّينُ نشأ بِمُحَمَّدٍ وعليٍ صلَّى اللّهُ عَليهِما وآلهما.

- **وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا** - لا تَلتَصقوا بالأرض - **وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ**﴾، أنتُم تُؤذُونَ رسولَ اللّه حينما لم تَكُن هُناكَ من صَدَقة بمقدارِ درهم، لكن حينما قَرّرَ اللّهُ أن يَدفعوا درهماً صدقةً لمُناجاةِ رسولِ اللّه لم يَتقدَّم أحد، تَقدَّمَ ذَلكَ المفردُ الكرّارُ.

القرآنُ هكذا يُخاطبهم: "**أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ**"، "أَأَشْفَقْتُم؟!"، ما معنى الشَّفَقة؟ الشَّفقةُ الخوفُ، ولَكنَّهُ خَوفٌ مُميَّزٌ، خَوفٌ معَ حِرصٍ على الَّذي يُخافُ عليه، الوالدُ الشَّفيقِ الوالدُ الَّذي يخافُ على أولاده، على أطفاله من كُلِّ خَطرٍ، من كُلِّ ضَررٍ بسببِ حِرصه على سَلامَتِهم، وبسببِ حُبِّه لَهُم، الشَّفقةُ خوفٌ مع حرصٍ مع حُبٍ، هكذا كانوا يتعاملونَ معَ دَراهِمهم.

هكذا تَخافُونَ على دراهِمكُم معَ حرصكم الوسِخ هذا ومعَ حُبِّكم لهذا المالَ، الَّذي كَسَرَ هذا الحاجزَ هُوَ مُكَسِّرُ الحواجز، هُوَ قَالِعُ الأبواب ذَلِكَ هُو الشخصُ الشاخصُ المفردُ..

(المستدركُ على الصحيحين) للحاكم الينشابوري.

مُستدركٌ على صحيح البخاري وعلى صحيح مسلم، الجزء الثاني من طبعة دار الكُتب العلميّة، بيروت، لبنان، صفحة (٥٢٤)، رقم الحديث (٣٧٩٤): **بِسنده، عَن عبد الرحمن بن أبي ليلى** - وذكرَ حديثاً يَشتَمِلُ على المضمونَ الَّذي مرّ علينا في تفسيرِ الطبري، ثُمَّ علَّقَ على الحديث: (**هذا حديثٌ صحيحٌ على شرطِ الشيخين** - على شرط البخاري ومسلم - **ولم يُخرِجاه**)، من جُملة ما جاء في الحديث: أمير المؤمنين هو الَّذي يقول: **كانَ عندي دينارٌ** - دينارٌ ذهبي - **فَبِعتهُ بعشرة دراهم فَناجيتُ النَّبيّ صَلَّى اللّهُ عليه وسَلّم فَكُنتُ كُلَّما نَاجيتُ النَّبي قَدَّمتُ بينَ يَدي نَجواي درهماً** - فقد ناجاهُ عشرَ مرات لأنَّهُ حوّل الدينار إلى عشرة دراهم يدفعُ درهماً ويذهبُ إلى مُناجاة رسولِ اللّه، عليٌ هُو الَّذي كانَ يُناجي رسولَ اللّه وعليٌ فقط، هذه أحاديثهم..

"شواهدُ التَّنزيل" لحَاكمِ آخر؛

الحاكمُ درجةٌ علميّةٌ هي الأعلى في الثقافة السُنيّة في أجواء علم الحديث، الحاكمُ الحسكاني، من عُلماء الأحناف في القرنِ الخامس الهجري، الجزء الثاني من طبعة مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، النسخةُ بتحقيق: محمّد باقر المحمودي، صفحة (٣٦٣)، إنَّها آيةُ النَّجوى، آيةُ المناجاة، رقم الحديث (٩٥٧)، الكلامُ الَّذي مرَ مَذكُوراً في تفسير الطبري وفي مستدرك الحاكم: **عن مُجاهد نُهُوا عن مُناجاة النَّبي حتَّى يتصدَّقوا فَلَم يُناجِه إلَّا عَليّ بنُ أبي طالب قَدَّم دِيناراً فَتصدَّق به ثُمَّ أُنزِلَت الرخصةُ في ذلك** - وتستمر الرواياتُ والأحاديث.

أمير المؤمنين يقول: **إنَّ في القُرآنِ لآيةً ما عَمِلَ بِها غَيري قبلي ولا بعدي وهي آيةُ النَّجوى، كانَ لِي دينار فبعتهُ بعشرة دراهم فَكُلَّما أردتُ أن أُناجيَ النَّبي تَصدَّقتُ بدرهمٍ، ثُمَّ نُسخت.**

وتستمر الأحاديث إلى صفحة (٣٨١)، من (٩٥٧) إلى (٩٧٧)، كُلُّ هذه الأحاديث في هذا المضمون، حديث رقم (٩٧٦)، صفحة (٣٨٠ - ٣٨١): **بِسنده، عَن جابِر** - إنَّهُ جابر بنُ عبد اللّه الأنصاري - **قالَ: نَاجى رَسولُ اللّه صَلَّى اللّهُ عَليه وآله وسَلَّم عَلِياً في غَزاة الطائف فأطالَ مُناجَاتهُ، فَقالَ لهُ أبو بكرٍ وعُمَرَ: لقد أطلتَ مُناجاة علي** - لأنَّ النَّبي طَوَّلَ في مُناجاة عليٍ في لِقاءٍ خَاصٍ بعليٍ في غَزاة الطَائف، فماذا قالَ رسولُ اللّه؟ - **مَا أنا نَاجيتهُ بل اللّهُ نَاجَاه** - هذه كانت فيما بَينَ عليٍ وبينَ اللّه وبِمحضرِ رسول اللّه..

فِي (تفسيرِ القُرآن العظيم) لابنِ كثير؛

وهُو من أشدِّ السَّقيفيينَ نَصْباً وعداءً للعترة الطاهرة، المجلَّدُ الرابع يَشتملُ على الجزأين السابع والثامن، طبعةُ المكتبة التوفيقية، القاهرةُ، مصر، الجزء الثامن، الصفحة الثانية والثلاثين بِخُصوص آية النَّجوى، الكلامُ هُوَ هُوَ نَقَلَ عن أمير المؤمنين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: "**آيةٌ في كتاب اللّه لم يَعمَل بها أحدٌ قَبلي ولا يَعمَلُ بِها أحدٌ بعدي**"، إلى آخر الكلام، لأجل الانتفاعِ من الوقت لا أُكَرِّرُ قراءة الأحاديث..

وفي (الدرِّ المنثور في التفسير بالمأثور) للسيوطي؛

ابنُ كثير متوفّى سنة (٧٧٤) للهجرة، السيوطي متوفّى سنة (٩١١) للهجرة، طبعةُ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الجزء الثامن، الصفحة الثمانين، والأحاديثُ تبدأ منَ الصفحة التاسعة والسبعين، أمير المؤمنين يقول: **إنَّ في كتابِ اللّه لآيةً ما عَمِلَ بها أحدٌ قَبلي ولا يعمَلُ بِها أحدٌ بعدي، آيةُ النَّجوى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً"، كانَ عندي دِينارٌ فَبعتهُ بعشرةِ دراهم، فَكُنتُ كُلَّما ناجيتُ النَّبي قَدَّمتُ بَينَ يدي درهماً، ثُمَّ نُسخت فَلم يَعمل بِها أحد** - إلى آخرِ ما جاء في الأحاديث والرواياتِ الَّتي ذكرها السيوطي في الدرّ المنثور..

هذه أمثلةٌ ونَماذج، هذا الأمرُ أمرٌ مَعروفٌ واضحٌ في المكتبة السُنيّة.

الآيةُ واضحةٌ جِدّاً وهي تُخاطبُ الصَّحابَة باستثناء عَلِيٍ، عَلِيٌ دائماً مُستثنى..

في الآيةِ الخامسة والستين بعدَ المئة بعد البسملة من سورة البقرة: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّه أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّه وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّه**﴾، هل كانَ الصَّحابةُ بِحسبِ آيةِ النَّجوى هلَ كانَ الصَّحابةُ يَتَّصفونَ بهذا الوصف من أنَّهم أشَدُّ حُباً لِلّه؟ لو كانوا كذلك لأنفقوا دَراهِمَهم، كانت الدراهِمُ عندَهم هي الَّتي تَعلَّقَ الحُبَّ بها بدرجة أشد من حُبهم لزيارة رسول اللّه هذا هو الواقع..

فِي سورة التوبة، الآيةِ الرابعة والعشرين منها: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّه وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾، هذه فَتوى منَ اللّه بِتفسيقِ من حَالُهُ هذا الحال، الَّذي يَجِدُ حُبّهُ لِمَالِه أكثَرَ من حُبِهِ لرسولَ اللّه فهذا فاسقٌ بفتوى من اللّه.

قد يقولُ قائلٌ: من أنَّ الآية أظهرت أنَّ اللّه قد تابَ عليهم؛ ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ**﴾، لماذا تابَ اللّهُ عليهم؟ لأنَّهم قد ار تكبوا مُنكراً، ارتكبوا قَبيحاً، لم يأتوا لمُناجاة رسول اللّه، هل القبيحُ في عَدم إتيانهم؟ القبيحُ في أنَّهم أحبوا الدراهم أكثر من رسول اللّه هذا هو القبيح، ما كانَ واجباً عليهم أن يأتوا لزيارة رسول اللّه، الواجبُ عليهم إذا أرادوا زيارة رسول اللّه أن يدفعوا صدقة، المنكرُ الَّذي ارتكبوه أنَّهم أحبوا دَراهمَهم أكثر من رسول اللّه فَهُم قومٌ فاسقون بحسب الآية الَّتي مَرّت علينا، حينما تابَ اللّهُ عليهم تابَ اللّهُ عليهم بسبب القبيح الَّذي ارتكبوه، لكنَّ هذا لا يعني أنَّهم قَد انتقلوا من الحالة الأسوأ إلى الحالة الأحسن.

أَقرِّبُ لَكُم الفكرة بمثال: في سورة آل عمران، الآية الثالثة والخمسين بعدَ المئة بعدَ البسملة الحديثُ عن فرار الصَّحابَة في أُحُد: ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ** - تَتَّجِهونَ في فِراركم بعيداً عن رسولِ اللّه - **وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ**﴾، إلى آخرِ الآية، تَستمرّ الآيات إلى الآيَة الخامسة والخمسين بعد المئة بعدَ البسملة من السورة نفسها في سياقِ واقعة أُحُد: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾، الأثرُ القَبيحُ، العَملُ القبيحُ حُذِفَ من سِجلّاتهم، لكنَّ الحالةَ القبيحةَ الَّتي عندَهُم في خِيانة رسولِ اللّه وفي الفِرار هل زالت؟ بَقيت موجو دةً، العُقوبةُ زالت عَنهُم، أمَّا الخسَّةُ فقد بقيت موجودةً، بل ظَهرت بِصورة أقبح في واقعة الأحزاب..

في سورة الأحزاب: ﴿**إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً** - إلى آخرِ ما جاء في الآيات - **وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً ۞ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً**﴾، هذه الصورةُ أقبح ممَّا كانوا عليه في واقعة أُحُد، ﴿**وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً**﴾، وهل توقَّفَ الأمرُ عندَ هذا الحد؟!

حينما جاءت خيبر وما الَّذي جرى في خيبر؟ كبار الصَّحابَة فَرّوا من المعركة، ولذا فإنَّ رسولَ اللّه قالَ في وصف أمير المؤمنين؛ "من أنَّهُ سيُعطي الراية غداً رَجُلاً يُحبّه اللّه ورَسُولُه ويُحبّ اللّه ورَسولَه كَرّاراً غَير فَرّار"، لأنَّ القومَ فَرّارون، في حالَة فرارٍ مُستمر.

نعودُ إلى سورة المجادلَة أو المجادَلة، الآية الثالثة بعدَ العاشرة بعد البسملة: ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ**﴾، مُفسّرو السُنَّة يُحاولونَ أن يصنعوا أعذاراً للصَّحابَة، لكنَّ الحقيقةَ واضحةٌ لَيس هُناكَ من مساحة للاعتذارِ عن الصَّحابَة، الأمر تَشخَّص من أنَّ علياً هُو الشاخصُ المفردُ المميّز، ولذا نُسخَ الحُكم، عَلي تَشخَّصَ وتَميّز، فَنُسخ الحُكم رَحمةً بِبخل الصَّحابَة، ورَحمةً بِدراهمهم، ورحمةً من رسول اللّه بِخسَّتهم ودَناءتهم، هذه خسَّةٌ ودناءةٌ أن يَتصدَّقوا بِدرهمٍ لمناجاة رسول اللّه ولم يفعلوا، هذه خسَّةٌ في أقبح صُورها، ودَناءةٌ في أقذرِ حالاتها، هذا هُوَ واقعُ الصَّحابة لأنَّهم يُحبّونَ دَراهمَهم أكثر من رسول اللّه، هذه مُشكلةٌ سقيفة بني ساعدة وهي هي مُشكلةُ سقيفة بني طوسي..

الصورةُ الثامنة في صحيح البخاري وصحيح مسلم:

(صحيح البخاري) طبعة دار صادر/ بيروت - لبنان/ الطبعة الأولى - ٢٠٠٤ ميلادي/ صفحة (١١٦٥)، الباب الثالث والخمسون: "بابٌ في الحوض"، هذا البابُ يَشتملُ على تسعةَ عشرَ حديثاً، سأقرأُ منها على سبيل المثال والأنموذَج:

رقم الحديث (٦٥٨٢): **بِسنده** - بسند البخاري - **عن أنس** - إنَّهُ أنس بنُ مالك الَّذي كانَ خادماً عندَ النَّبيّ صلّى اللّهُ عليه وآله - **عن النَّبيّ صَلّى اللّهُ عليه وسَلّم** - كما يُصلّي البخاري صَلاةً بتراء - **قالَ: لَيردَنَّ عَلَيَّ ناسٌ من أصحابي الحوض، حتَّى إذا عَرفتُهم اختلجوا دُوني** - لم يستطيعوا أن يقتربوا مِنّي - **فأقول: أصحابي، فيقول** - فيقول القائلُ - **لا تَدري ما أحدثوا بعدك.**

وتستمرّ الأحاديث كما في الحديث (٦٥٨٥): **فأقول: يا ربِّ أصحابي، فيقول** - اللّهُ يقول - **إنَّكَ لا علمَ لك بِما أحدثوا بَعدَك، إنَّهم ارتدّوا على أدبَارِهُم القهقرة** - مُرتَدّون.

صفحة (١١٦٧)، رقم الحديث (٦٥٨٧): **بِسنده** - بسند البخاري - **عن أبي هريرة، عن النَّبيّ صَلَّى اللّهُ عليه وسلّم: بَيْنا أنا قائمٌ** - في عرصات القيامة - **إذا زُمرةٌ، حتَّى إذا عَرفتُهم** - "زُمرةٌ"؛ مجموعةٌ من أصحابه، مَجموعةٌ كبيرةٌ - **خرجَ رجلٌ من بيني وبَينهم** - هذا الرجلُ ليس من هذه الزُمرة - **فقالَ: هَلُم** - يُشير إلى تلكَ الزُمرة تعالوا خلفي - **فَقُلتُ: أين؟** - إلى أين تأخذهم؟ - **قالَ: إلى النَّارِ واللّه، قلتُ: ومَا شَأنُهم؟ قالَ: إنَّهم ارتدّوا بعدَكَ على أدبارِهُم القهقرة** - هذا هوَ الَّذي قَاتَلَهم على التَّأويل هُوَ هُوَ..

النَّبي يقول: **فلا أراهُ يَخلُصُ منهُم إلَّا مثلُ هَمَل النَّعَم.**

في الجزء الثامن من الكافي الشريف للكليني المتوفّى سنة (٣٢٨) للهجرة، طبعةُ دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، الصفحة الثامنة والتسعين بعد المئة، رقم الحديث (٣٤١)، إمامُنا الباقرُ صَلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: **كَانَ النَّاسُ أَهْلَ رِدَّة بَعْدَ النَّبِي صَلَّى اللّهُ عَلَيه وَآله إِلَّا ثَلَاثَة، فَقُلتُ: وَمَن الثَّلَاثَة؟** - الَّذي يسألُ هُو سَدير الصيرفي - **فَقَال: الْمِقْدَادُ ابنُ الأَسْود، وَأَبُو ذَرّ الغَفَارِي، وَسَلْمَانُ الفَارِسي رَحْمَةُ اللّه وَبَرَكَاتُهُ عَلَيهِم، ثُمَّ عَرَفَ أُنَاسٌ بَعدَ يَسير** - بعدَ ذَلكَ التحقَ بِهم من التحق - **وَقَالَ** - الإمامُ الباقر يقول - **هَؤُلَاء الَّذينَ دَارَت عَلَيهُم الرَّحى وَأَبَوا أن يُبَايعُوا حَتَّى جَاؤوا أَميرَ الـمُؤمنين مُكْرَهاً فَبَايَع، وَذَلكَ قَولُ اللّه تَعَالَى: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ".**

حديثٌ آخر من المصدر نَفسه صفحة (٢٠٢)، رقم الحديث (٣٥٦): **بِسنده** - بسند الكليني - **عَن الحَارث بنِ الـمُغيرة قَالَ: سَمعتُ عَبدَ الـمَلك بن أَعْيَنَ يَسْأَلُ أَبَا عَبد اللّه** - يسألُ الإمامَ الصَّادقَ صلواتُ اللّه عليه - **فَلَم يَزَل يُسَائلُه حَتَّى قَال: فَهَلَكَ النَّاسُ إِذاً؟** - كان يسألُ الإمامَ عنَ الأحداث الَّتي وَقعت بعدَ استشهاد رسول اللّه صَلَّى اللّهُ عليه وآله بعد أن قُتِلَ مَسموماً، والإمامُ كانَ يُخبرهُ بالتفاصيل، فَقالَ عبد الملك بنُ أعين: **فَهَلَكَ النَّاسُ إِذاً؟** - الإمامُ الصَّادقُ قَالَ: **إِي وَاللّه يَا ابْنَ أَعْيَنَ فَهَلَكَ النَّاسُ أَجْمَعُون** - الحديثُ عن الصَّحابَة هُنا - **قُلتُ: مَن فِي الـمَشْرِقِ وَمَنْ فِي الـمَغْرِب؟ قَالَ: إِنَّهَا فُتِحَت بِضَلال، إِي وَاللّه لَهَلَكُوا** - إلَّا ثَلاثَة، الثلاثةُ: المقدادُ وأبو ذَرّ وسَلْمَان رضوان اللّه تعالى عليهم.

فبحسبِ رواية البخاري عن النَّبي صَلَّى اللّهُ عليه وآله النَّبيّ يَتحدَّثُ عن الصَّحابة: (**فلا أراهُ يَخلُص منهُم إلَّا مثلُ هَمَل النَّعَم**)، هَمَل النَّعَم لن يتجاوزَ العددُ الثلاثة والأربعة..

وأمَّا (صحيح مسلم)، طبعةُ دار صادر/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الأولى/ ٢٠٠٤ ميلادي/ ومسلم توفّي (٢٦١) للهجرة، صفحة (٨٧٢)، كتابُ الفضائل، البابُ التاسع: "بابُ إثبات حوضِ نَبينا وصفاته"، في هذا الباب ذكرَ مسلم عدداً كبيراً منَ الأحاديث إنَّها أكثرُ من أحاديث البخاري، ذكرَ ثلاثينَ حديثاً، في المضمونِ نفسه. أقرأُ حديثاً من هذه الأحاديث، رقم الحديث (٦٠١٧): **بِسنده، حدَّثنا وهيب قالَ: سَمعتُ عبد العزيزِ بنَ صُهيب يُحدِّث قال: حَدَّثنا أنسُ بن مالك**

أنَّ النبيَ صلَّى الله عليه وسلّم قال: لَيردَنَّ عَلَيّ الحوض رجالٌ ممَّن صَاحَبَني، حتَّى إذا رأيتُهم ورُفِعوا إِلَيَّ اختلَجوا دُوني - لم يستطيعوا أن يصلوا إليَ - **فلأقُولنَّ: أي رَبِّ أُصيحابي أُصيحابي فَليُقالَنَّ لِي: إنَّكَ لا تدري ما أحدَثوا بَعدَك.**

كُلّ الأحاديث تُشيرُ إلى أنَّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرة، هذه المضامينُ واضحةٌ جِدَّاً في كُتُب السُنَّة، لكنَّهم لا يقفونَ عندَها يَتأمَّلونَ فيها وضعوا لها معانٍ وشرحوها بطريقة تُساعدُهم أن يَقفُزوا على الحقيقة لكي لا يُرتِّبوا أثراً نَفسيّاً ووجدانياً ولا يُرتِّبوا أَثراً عَمَلياً وعلمياً على الَّذي جاء في أحاديثهم الصحيحة هذه، هكذا فعلتَ سقيفةُ بني ساعدة في السُنَّة، وهكَذا فعلت سقيفةُ بني طوسي في الشيعة، الحكايةُ واحدة..

• الصورةُ التاسعة.

الآيةُ السابعةُ والستون بعد البسملة من سورة المائدة: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾.

الجزء الثالثُ من (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، لجلال الدين السيوطي، المتوفّى سنة (٩١١)، من أئمَّة الشوافع وعُلمائهم الكبار المعروفين، طبعة دار إحياء التراث العربي، الصفحة التاسعة بعد المئة يُحدِّثنا السيوطي بأسانيده: **عَن أبي سعيد الخدري قالَ: نَزلَت هذه الآية: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ"، عَلى رَسُولِ اللّه يَومَ غَدِير خُم فِي عَلِيّ بنِ أبي طالب** - الآيةُ واضحةٌ لأيِّ مُتأمِّلٍ مُنْصِف، فإنَّ الآية جعلَت وَلايَة علي في جهة، وجعلت كُلَّ الرسالة لا قيمة لها في جهة أخرى إن لم تَكُن مُزيَّنةً بِولاية علي..

أمَّا عبد اللّه بن مسعود يقول برواية السيوطي، أنا أقرأ عليكُم من كتاب سُنِّيٍّ لعَالِمٍ سُنِّيٍّ شَافعيٍّ، وهذا الكتابُ حَقَّقَهُ شيخٌ من مشايخ أهل السُنَّة: (طبعةٌ جديدةٌ صَحَّحها وخَرَّج أحاديثها الشيخ نجدت نجيب)، وقَدَّم لها سُنِّيٌّ أيضاً (تقديم: عبد الرزاق المهدي)، كتابٌ سُنِّيٌّ بامتياز، صحيحٌ أنَّ عُلماء السُنَّة يُضَعِّفونَ هذه الأحاديث، ماذا تتوقَّعونَ منهُم؟! هل يقولونَ من أنَّ الأحاديث هذه صحيحةٌ؟! لكنَّها موجودةٌ في كُتُبهم وينقلونها عن كبار الصّحابة عن أبي سعيد الخدري، وعن عبد اللّه بن مسعود، عبد اللّه بنُ مسعود كلامهُ أخطرُ من كلامِ أبي سعيد الخدري هكذا يقول: **كُنَّا نَقرأ** - يقرؤونَ في القُرآن، ولذا فإنَّ سقيفةَ بني ساعدة أحرقت مُصحَفَ ابنِ مسعود - **على عهد رسول اللّه: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ أنَّ عَلِيّاً مَوْلَى الـمُؤْمِنِين** - كانوا يقرؤونَ هذا في القرآن: (أنَّ عَلِيّاً مَولَى الـمُؤْمنين)، إنَّني لا أقرأ عليكم من كتابٍ شيعيٍ - **وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ".**

في الجزء الثاني من الكَافي للكليني، طَبعةُ دار الأسوة، طهران، إيران، الحَديثُ السابع والعشرون، صفحة (٦٢٤): **بِسنده** - بِسند الكليني - **عَن عَبد اللّه بنِ فَرقد والـمُعلّا بنِ خُنيس، قَالَا: كُنَّا عندَ أبي عَبد اللّه** - عندَ الصَّادقِ صَلواتُ اللّه عليه - **وَمَعَنَا رَبِيعَةُ الرَّأي** - وهذا من أئمَّة المخالفين للعترة الطاهرة - **فَذَكَرَ فَضْلَ القُرآن** - ربيعةُ الرأي، يُعرَفُ بهذا اللقب بالرأي لأنَّهُ يعودُ في دينه إلى رأيه، ولذلك عُرِفَ بهذا اللقب - **فَقَالَ أَبُو عَبد اللّه** - قالَ الصَّادقُ صلواتُ اللّه عليه - **إِنْ كَانَ ابنُ مَسعُود لا يَقرأ عَلَى قِراءتنَا فَهُوَ ضَال، فَقَالَ رَبِيعَةُ: ضَال؟!** - ابنُ مسعود من عُظماء الصَّحابة - **فَقَالَ: نَعَم ضَالٌ، ثُمَّ قَالَ أبو عَبد اللّه: أَمَّا نَحْنُ فَنَقْرأ عَلَى قِرَاءة أُبَيّ** - هي القراءةُ الأقرب إلى العترة الطاهرة، ولذا ألحَّ عمر بن الخطّاب على أُبَيّ الَّذي كانَ حريصاً على من مُصحَفه، ألحَّ عليه أن يَجلبَ لهُ المصحف وأحرقَهُ، أحرقَ مُصحَفَ أُبَيّ، فابنُ مسعود يُحدِّثُنا بِما يُحدِّثُنا ومعَ ذلك ما كانَ مَعدوداً في شيعة الأئمَّة، ما كانَ مَعدوداً في شيعة علي صلوَاتُ اللّه وسلامهُ عليه.

في الجزء السادس من (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، الطبعة نفسها، صفحة (٥٢١)، الآيةُ الخامسةُ والعشرون بعد البسملة من سورة الأحزاب: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً**﴾، السيوطي يُحدِّثنا: **عن ابنِ مسعود رَضِيَ اللّهُ عنه: أنَّهُ كانَ يقرأ هذا الحَرف** - هكذا يقرأ: "**وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بِعَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِب**" - إنَّهُ الشخصُ الشَّاخِصُ الرّمز، هذه كُتُبهم، هذه رِواياتهم، الحقائقُ واضحةٌ في كُتب القوم..

في ختام الصورة التاسعة أقرأ من سورة طه، الآية التاسعة والعشرين بعد البسملة وما بعدها من الآيات، موسى كَليم اللّه هُو الَّذي يقول: ﴿**وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ۞ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً ۞ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**﴾، فَهارُونَ سيكونُ لَكَ كما تُريد.

عليّ كانَ شَريكاً لرسول اللّه، ولذا عَبَّرَ القرآنُ عنه بأنَّهُ نَفسُ رسول اللّه، رسولُ اللّه هُو الَّذي قالَ لعليٍ: (من أنَّكَ منِّي بِمَنزلة هَارُونَ من مُوسى)، حديثُ المنزلة موجودٌ في صحيح مسلم وموجودٌ في صحيح البخاري، مَنزِلَةُ هَارُونَ من مُوسى هي هذه؛ "**وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي**"، عليٌ لم يَكُن صَحابِياً من أصحابِ رسول اللّه بهذا العنوان العام، عليٌ كانَ وزيراً لرسول اللّه، عليٌ كانَ شَريكاً لرسول اللّه في أمرهِ ودينه، القُرآنُ هُو الَّذي يقول لستُ أنا..

هذا المضمونُ لم يَرِد لأحدٍ في مجموعة الصَّحابة، ولم يَرِد لواحدةٍ من نساء النَّبي، هذا المعنى خاصٌ بالقُربى.